اللغة العربية في نيجيريا بين الكساد واليمن - عرض وقراءة لآراء الدارسين

علي عبد القادر العسلي

ملخص:

لعل من أبرز القضايا التي ترعى عناية الباحثين والدارسين للغة العربية في نيجيريا اليوم، ما أهمّهم من حاجة المعنيين إلى خلق فرص عمل جديدة تضمن مستقبلا سعيدا للناشئين العاكفين على دراسة العربية في هذا الوطن، الذي تواجه لغة القرآن الكريم فيه تحديات شرسة. وبناء على ذلك، أصبح لزاما، إيجاد حلول مناسبة تكفل الغلبة والنصرة على تلك العوائق، وتجدي في تعزيز الثقة بأن العربية تستطيع أن تحقّق الطموحات وتلبّي الحاجات. ومن ثم نهض أولو الفكر إلى رصد طائفة من الرؤى، فمنهم من التمس العلاج في المنهج، ومنهم من رأى الحل في الدعم الخارجي خاصة من الدول العربية، ومنهم من تشفى باتهام الحكومة الوطنية، ومنهم من لا يزال يعلّق آمالا بالنظام القديم ...، فهذه الأمور وغيرها تشكل منطلقا أمينا لهذا البحث، حيث يتمّ مدارستها وتشخيصها لكي يصل إلى نتيجة مقنعة وموقف أقرب إلى الصواب، علما بأن هذه الدراسة ستتبع منهج الوصف والتحليل، والله من وراء القصد، وهو حسبنا ونعم المولى ونعم النصير.

الكلمات الافتتاحية: اللغة العربية – نيجيريا - فرص عمل - آراء - حلول

ندوة اللغة العربية في دول إفريقيا

المقدمة:

الحمد لله، الذي خلق فسوى، وعلمّ بالقلم علّم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على أفصح العرب والعجم، وعلى آله وأصحابه نجوم الهدى، ومن اقتفى آثارهم في إعلاء لغة كتاب الله العظيم.

وبعد، فتحتل نيجيريا منزلة عالية بين الدول غير الناطقة بالعربية التي سعدت في أحضانها لغة القرآن الكريم، فكانت لغة دين، ودولة، وثقافة، وعلى الرغم مما مُنيت بها أيام الاستعمار وبعدها، فقد احتفظت بدورها الثقافي الرائد، غير أن هناك تحديات عدّة تواجه المنتسبين إليها ، خاصة في مجال التوظيف، وبناء على ذلك، فإن هذا البحث يتبلور في نقاط تالية:

- تمهيد.
- خلق فرص العمل.
- مسار العمل.
- الاقتراحات.
- الخاتمة.

والله يسأل الباحث أن ينفع بهذه الورقة، وأن يتقبلها خالصة لوجهه خدمة للغة الضاد، ورفعا لشأنها في هذا الوطن: نيجيريا المحبوبة.

تمهيد:

يعدّ الشيخ محمد كمال الدين الأدبي، والشيخ آدم عبد الله الإلوري، والأستاذ الدكتور مرتضى بدماصي، والبروفيسور إسحاق أوغنبي، والدكتور أحمد شيحو غلادنث وغيرهم من أوائل من فطنوا إلى ما يواجه العربية من تحديات تقف حجر عثرة أمام تقدمها وإحرازها لقصب السبق، وعدم ظفرها باهتمام الحكومات الوطنية، وهي أمور تحول بينها وبين السواد الأعظم من أبناء المسلمين، بعد أن كان آباؤهم وأجدادهم حريصين كل الحرص على خدماتها، ومتفانين على نشر تعاليمها، حبا منهم للدين، لكن الأحداث التي تشهدها الحياة المعاصرة تؤكد تضاؤلا مشهودا في الإقبال على تعلم العربية، وفتورا سافرا في الهمة على إتقانها، والإخلاص في تعاطيها، مما يدفع الغيور على مستقبل هذه اللغة إلى تلمس وجوه كريمة مغرية، ولا يكون هذا الإغراء ذا أثر قيم، إلا إذا كان بعد دراسة حصيفة للمشاكل التي صرفتهم عن تعلم لغة القرآن، وأكرهتها إلى

نفوسهم، وأيأست متعلميها منهم أو ثبّطت هممهم، ومن ثم يكون الدواء ناجعا لمعالجة الداء.

وتأسيسا على ذلك، تركزت آرؤهم على أن الخلوص من تلك المشاكل تتمحور في أمور: ١- توفير الوظائف. ٢- تحسين المنهج. ٣- الشعور بالمسئولية من قبل المتخصصين والحكومة.

خلق فرص العمل:

كانت العقلية القديمة ترى أن آفاق توظيف اللغة العربية، لا تعدو مجالات التدريس، والدعوة، والإمامة، وهي رؤية تنبعث من التصور السائد في الأوساط العلمية والاجتماعية والدينية، ولا تزال عالقة بأذهان الكثيرين إلى يومنا هذا، بحجة أن أسلافنا لم يُعنوا من تعليمها إلا لاقتناعهم بأنها وسيلة معينة على فهم الإسلام، ومعنى ذلك أن الهدف من دراستها هدف ديني محض، وعلى الرغم من إسلامية الهدف، فإن العربية لم تتقاصر في عهدها الغابر بنيجيريا أن تكون رائدة في المهام السياسية، والاقتصادية، والإدارية، حتى إن المحتلّ البريطاني لم يملك في أول أمره خيار الاستغناء عن العلماء المتثقفين بالعربية، إذ استعان بهم في إدارة شئون الدولة، قبل أن تضيّق عليهم الحصار، عندما أذاق لغتهم الإهانة، وعزلها عن جدول أعمالها، بل عن عرش التعليم، ففرض الإنجليزية لغة علم، وسياسة.. لكن الظروف التي تعيشها نيجيريا خاصة منذ الاستقلال تقتضي أن تتوسع معها مجالات استخدام العربية، وفقا لما تمليه الحاجات العمرانية، والإنسانية، والعلمية، والدبلوماسية، وهي ما لفتت انتباه الدارسين، وأيقظت شعور المفكرين، لينظروا كيف يُخلَق أو يُفسَح لدارسي العربية فرص عمل في هذه الدولة التي بلغت بها البطالة حدا غير معقول، فذلك من السبل الكريمة التي تفضي إلى إقناعه بأن له مستقبلا زاهرا في مجتمعه، حين لا يكون عالة على غيره، ومبخوسا حقه عند الحكومة، ومحتقر الشأن لدى أصحاب ثقافات أخرى.

ولقد تنبه بعض المسئولين في ميدان العربية إلى مجالات عمل لم يفطن المتعلمون إليها ليحسنوا استغلالها، أو سُدّ بينهم وبينها حسدا من طائفة المحتكرين، ليجدّوا في شقّ السدود، وينفلتوا من مكائد أذناب الاستعمار، وتتخلص تلك المجالات في أمور آتية:

١ – المجال السياسي: فمعلوم أن الدولة الحكيمة تتخذ لغات الشعوب التي تضمها وسيلة للتوعية، ونشر برامجها، وبيان أنظمتها، ونظرا إلى أن العربية تشكّل لغة مجموعة عرقية في المجتمع النيجيري، فينبغي أن تحظى العربية بنصيبها الوافر في هذه المهمة، حيث يلزم دور الإذاعة، والتلفازة، والصحف اليومية، تخصيص برامج تُبَثّ بالعربية، وفي ذلك فائدتان: أولاهما: أن الشعب يكون على وعي بما يدور حوله، بحيث لا يغيب عنه أنظمة الدولة، ونشاطاتها الخارجية في «هيئة الاتحاد الإفريقي، والكتلة الاقتصادية لدول غرب إفريقيا، ومنظمة الأمم المتحدة، ومنظمة الدول المنتجة والمصدرة للبترول»١، إضافة إلى ما يشعر به من روح الانتماء، أما الفائدة الأخيرة، فتتجلى في أن برنامجا كهذا يتطلب كوادر إنسانية، مما يعني ضرورة توظيف عدد من المتخصصين في العربية، يشرفون على سيره، ويؤدون المهمة كواجب حر في، وقومي.

وفعلا، لما أنشأت الحكومة الفدرالية دار إذاعة صوت نيجيريا، جعلت العربية من اللغات العالمية التي تُستعمَل، ولكنها لا تلبي الحاجة القومية الداخلية، لأنها لم تُخصَّص إلا للعالم الخارجي، فعامة الشعب لا يعرف عنها شيئا، بل ربما لم يسمع باسمها قط، ولا تزال الآمال معلوقة بمزيد من التحركات الحكومية تجاه توسيع نطاق العمل في هذا المجال الإعلامي، فما الذي يمنع دار التلفازة النيجيرية وفيها قناة خاصة بالعالم الخارجي من بثّ برامجها كذلك بالعربية، ما دام الهدف هو إطلاع العالم على ما يجري في الوطن من أحداث سياسية، واقتصادية، ودبلوماسية، ووطنية، وفي الدول العربية – كما في أمريكيا وبريطانيا – آلاف النيجيريين من طلاب العلم، والتجار، والسياح واللاجئين وغيرهم، وهم في أمس الحاجة إلى أن يطلعوا على ما يدور في دولتهم العزيزة. كل ذلك – بلا شك – يخلق طواعية فرص عمل للمتثقفين بالثقافة العربية.

ويبدو أن الحكومة النيجيرية لا تزال قاصرة في هذا الجانب، ولا يُلقى

اللوم على الحكومة المركزية وحدها، بل على بعض حكومة الولايات، ولا سيما ولاية برنو، التي تحتضن مجموعة قبلية لسانها العربية، وهي شوا عرب٢، علاوة على ما تعاني منه أسرة الثقافة العربية في نيجيريا من ضعف العزيمة، إذ أن كثيرا من المتخصصين في العربية عندما يرتقون إلى درجة الأستاذية، أو يحصلون على مناصب عالية في الحكومة، سهل ما ينسون واجبهم في مساعدة إخوانهم، أو السعي وراء تنفيذ الأنشطة التي خططوا لها وعلقوا عليها آمال مستقبلهم، بل ويتناسون الهيئة الأكاديمية التي انتموا إليها، وكان لها أثر كبير في حياتهم الأكاديمية والعملية٣، ويكفي مثالا حيا هنا ما جنته العربية وغيرها من ويلات الإهمال إبان أيام الحكومات العسكرية، على يد وزير مسئول عن وزارة المعارف، كان متخصصا في الدراسات العربية والإسلامية.

٢- المجال الدبلوماسي: إن العلاقات الدبلوماسية التي نشأت بعد الاستقلال بين نيجيريا وعدد كبير من الدول العربية، لهي فرصة سانحة تكفل لدارسي العربية في هذا الوطن فرص عمل كبيرة، ذلك أن السفارات تقوم عادة بالحفاظ على سمعة دولها، وعرض معلومات عنها على الشعب المضيف، عبر منشورات تُكتب باللغة الرسمية للدولة المضيفة، ومعنى ذلك أن السفارات النيجيرية في الدول العربية ينبغي أن تنشر مطبوعاتها باللغة العربية، لا بالإنجليزية٤.

ولا يخفى أن المتمكن في العربية من بين عمال السفارة الوطنية في الدول العربية هو الذي يقدر أن يمثّل دولته تمثيلا أدق، وبالتالي يستطيع أن يدافع عن مصالحها، لا سيما كلما أسيء نشر خبر خاطئ عنه، أو مُسَّ بسمعته، إضافة إلى تأهل دارس العربية من مجيدي العربية بأن يتصدر للترجمة، أو يُعيَّن كاتبا في المؤسسات الدولية٥. كما أن السفارات العربية في نيجيريا ينبغي أن يستفيد من هذه الكوادر البشرية المتوفرة من أبناء الوطن، استكمالا للأيدي العاملة٦.

٣- المجال الأمني: تربط قارة إفريقيا شمالها بجنوبها، وشرقها بغربها أواصر إنسانية، ومصالح متبادلة، ومنافع مشتركة منذ فترة طويلة، اقتضت أن لا تتوانى دولة عن تقديم المساعدات لأختها، وأن تشاطرها الأفراح، وأن تقف إلى جنبها في أوقات المحن، ومن ثم لم تزل هيئة الاتحاد الإفريقي، تبذل قصارى جهدها كلما تعرضت دولة من دول الأعضاء لنكبة طبيعية أو إنسانية، ناجمة عن الحروب أو غيرها، وتبعث جيش إغاثة مهمته توفير الأمن، وإعادة القرار إلى تلك الدول، التي من بينها الأقطار العربية في المنطقة، خاصة السودان، ونظرا إلى الدور الريادي الذي تلعبه نيجيريا في هذا المجال، فإن قواتها الأمنية تفتقر دائما إلى انضمام مثقفي العربية إليها، حتى يكون هناك حسن التفاهم بين الجيش الإغاثي والمناطق العربية المبعوث إليها شعبا وحكومة، ويضحي القيام بمسئولياتها سهلا ميسورا. وليس هذا فحسب، بل إن الجمركية، والجوازات، والشرطة، والمخابرات، تظلّ في احتياج متواصل إلى من يجيد العربية من أفرادها لتحسين الأداء عند مراقبة الحدود، وفحص البضائع المستوردة، والتعامل بين الأجانب في المرافق الوطنية العامة عند الميناء، والمطار، والمحطات، والمكاتب وغيرها، هذا إلى جانب الوظيفة الأساسية التي يجنح إليها عن خطإ أو غير خطإ كثير منهم حال الالتحاق بإحدى هذه الفرق الأمنية، وهي الإمامة. لكن ما تمرّ به نيجيريا من سوء النوايا بين أبنائها المسلمين وغير المسلمين، وإلصاق العربية بالإسلام جهلا وعدوانا وحسدا، تُعَدّ من أشد العوائق لتوظيف دارسي العربية في هذا المجال الحيوي، رغم الدعوات المتكررة التي يوجّهها الدارسون إلى ضرورة إعادة النظر إلى طريقة التعامل للغة العربية، فليست لغة دين فحسب، بل هي لغة علم، وثقافة، وأمن، واقتصاد، وسياسة٧، ولعل أمثل من ينادي إلى ذلك هو البروفيسور أوغن بيي، أحد أقطاب العربية من المسيحيين المواطنين٨.

٤- المجال الاقتصادي: بناء على المنزلة التي تحتلّها العربية لكونها لغة عالمية لا تقلّ شأنا، رغم الطغيان الجارف الذي تتمتع به الإنجليزية

على حساب بقية اللغات، فإنها ذات أهمية كبيرة في الأوساط الاقتصادية، فهناك عديد من الشركات التجارية، والمؤسسات المالية، والمصانع التي لها مكاتب في البلاد العربية، لا تزال محتاجة إلى الماهرين في العربية والإنجليزية، لتسيير أمورها في عدد من مجالات أعمالها٩، أو ترجمة وثائقها، أو مرافقة مديرها والنيابة عنه أحيانا في الاجتماعات واللقاءات، التي تقع في البلدان العربية١٠، كل ذلك يتيح فرصة عمل لمن يجيد العربية إلى جانب إحدى اللغات العالمية الأخرى.

إلا أنه من المؤسف، أن كثيرا من المؤسسات العلمية والأقسام العربية في كلياتنا وجامعاتنا لا يزال متخلفا، حيث لم يخصص للطلاب حصصا معينة للتلقي والتدريب على استخدام الكمبيوتر وغيرها من وسائل النقل المعرفي، ويُحمَد في هذا الصدد لقسم الدراسات العربية في جامعة ولاية يوبي، صنيعه الجميل؛ إذ فرض على الملتحقين به مادة الكمبيوتر والتكنولوجية الإعلامية، لسد تلك الثغرة الثقافية. ويُرجى من تلك الأقسام كذلك أن تشجع طلابها على اقتراض المواد ذات الصلة بالاقتصاد، والإدارة المالية، والاستثمار، من أقسام أخرى، على ضوء ما وضعته مناهج الجامعات النيجيرية تحت بند نظام اقتراض المواد، وتبادل المعرفي بين الكليات والأقسام.

ومع ذلك، فيلاحَظ أن نسبة كبيرة من طلاب الأقسام لا تزال مهمشة، لا تلقي بالا، ولا تستعدّ لخوض تلك التجربة الحديثة، أو أن مناهجنا في تلك المؤسسات التعليمية لا تواكب التطورات الحديثة، ولعل بعضها لا ترغب في الاستفادة من معطيات التقنيات العلمية.

وفي الاستفادة من تلك الأشياء إغناء أيما إغناء، قد يكفيهم عن أن يقبلوا كل إقبال على الوظائف الحكومية، فما أقل فرصها! وما أكثر طالبيها! فبإمكانهم أن ينشطوا في التجارة، وينشئوا مطابع عربية، ومراكز الكمبيوتر١١، وهي تجارة رابحة في هذه الأيام التي كثر فيها التأليف في ميدان الأدب واللغة، إلا أن أكثرهم للأسف الشديد عازفون عن اغتنام هذه المكاسب الحرة.

٥- المجال الأكاديمي: ويعَدّ أكثر تلك المجالات ثروة لدى كثير من دارسي العربية، ويمكن تفسير هذه العقلية انطلاقا من أمور، أولها: أنهم يؤمنون أنه أبعد عن الوقوع في المحرمات، وأشد إكسابا للورع، وذلك متلائم جد التلاؤم مع صفات العالم الرباني التي يأمل طبقة كبيرة منهم أن يُرَوا عليها، بناء على القناعة الاجتماعية السائدة. وثانيها: أنهم يرونه أرضا خصبة لتنمية مواهبهم وتثقيف معارفهم، فأقبلوا عليه بقلوب عطشى. والأخير: أنهم لم يجدوا من دونه فرصة عمل سانحة، مما جعل الحكومة حاصرة أنشطتهم فيه، أو جعلهم محصورين عليه، وكلتا الحالتين نابعة من عدم انفتاح المتعلم النيجيري، وانتشار البطالة التي تهدّد حياته، والظلم الإداري، وفقدان العدالة الاجتماعية.

وقد فتح هذا وذاك، بابا واسعا للتملق، وتعاطي الشعوذة، والاكتساب بأعراض الناس، واغتنام غفلة العوام باسم الإسلام والعربية من قبل العابثين الذين أغرت عمامتهم وعباءتهم عباد الله المغلوبين على أمرهم، وليس بينهم وبين التعليم العربي والإسلامي قرابة من قريب ولا من بعيد، ومن قبل ذوي العلم الأبتر كما وصفهم العلامة الإلوري١٢، وكذلك فتحا بابا للتكاسل، وانهيال غير الراغبين على الحقل التعليمي.

ويمكن القول بأن أكثر من سبعين في المائة من دارسي العربية في نيجيريا يكسبون قوت يومهم من الحقل الأكاديمي، متوزعين بين الجامعات، والكليات، والمعاهد، والمدارس، اللهم أن الأخيرة - وخاصة المدارس الأهلية - تنال نصيب الأسد من حيث منح فرص عمل لهم. وعلى الرغم من أن الحكومة الفدرالية أنشأت خلال السنوات الثلاث الماضية تسع جامعات جديدة، إضافة على ما بذلته بعض الحكومات الولائية أو تبذل، وما تقوم به هيئات وأفراد من إنشاء مؤسسات علمية على اختلاف مراحلها، فإن عددا كبيرا من متعلمي العربية وغيرها من أبناء الوطن ما يزال يئنّ من وطأة البطالة المؤلمة.

وتأسيسا على ذلك، رأى الباحثون ضرورة طرح اقتراحات، ومباشرة

خطوات، تؤدي إلى خلق مستقبل باسم، وتحافظ على ما توفر من مكاسب كريمة، ولا شك أن جانبا كبيرا من تلك المجالات المذكورة لما تهيَّأ لها الظروف المساعدة، ولكي تكون أملا مشرقا محققا لا يغيّمه سحاب الإهمال، ولا يعوزه التوفيق، يجب أن تنطلق الأعمال المباركة واعية أدق الوعي تعدد المسار، وكبر المسئولية.

مسارات العمل:

يمكن حصر الاقتراحات التي أدلى بها الباحثون لتفعيل الدراسات العربية، حتى تنهض حالّة لتحديات فرص العمل ومشكلاتها فيما يلي:

١- تحديث المنهج: ترى طائفة من الباحثين أن منهج المدارس العربية في المراحل الثانوية تحتاج إلى تطوير، حتى يواكب مقتضيات العصر، وينبغي أن يخلو مسار العمل من المخادعة التي تتحكم أحيانا في الشئون التعليمية، حين يدرس الطالب في مادة المعلومات العامة مصطلحات العلوم الحديثة في الطب، والجغرافيا، والهندسة، والكهرباء العامة وغيرها، ويحصل على درجة مرتفعة، أو على تقدير براق، فيظن ظنا خاطئا لما أوتي أستاذه من لسن، أنه أجاد شيئا لا بأس به في هذه تلك العلوم، ولكنه يفاجأ عندما تتعطل مثلا بعض الأسلاك الكهربائية في منزله، ويتصدر لتصليحها، أنه يمضي ساعات يتساقط منه العرق دون أن يهتدي إلى موضع الخطر فضلا عن التصليح. وإنما يتم تحديث المنهج بإدخال مواد جديدة ذات الصلة بالعلوم العصرية في الاقتصاد، والتكنولوجية الإعلامية، والفيزياء، والحاسوب، والسياسة، وغيرها، وتُدرَس كل واحدة منها في حصص مستقلة، إلى جانب المواد العربية والإسلامية.

ويؤمن هؤلاء أن الطالب الذي خضع لهذا النظام المزدوج، يتاح له - وقد تزود بعربية فصيحة - في المرحلة الجامعية بأن يختار ما يميل إليه من تخصصات عدة، حيث يتخرج وقد انفسح أمامه ميدان العمل.

ويلاحَظ على هذه الطريقة، أنها مرهقة، لأن الطالب يتلقى في سنة دراسية مواد قد تقرب من عشرين، وهي كثرة لا تنمي الذكاء كما يتوهم أصحابها، وإنما تقتل المواهب، وتشتت الجهود، وتؤدي إلى عدم التركيز، يضاف إلى ذلك أن مثل هذا الطالب لم يعد في المرحلة الجامعية متخصصا في العربية، وهذا لا ينفي قدرته على أن يخدم دينه الحنيف على أبعد الحدود وأوسعها، ثم إن مثل هذه الطريقة قد تنفع أكثر في البلدان العربية، حيث يمكن أن يتلقى الطالب تلك العلوم باللغة العربية، فلماذا يتعب التلميذ نفسه ويخضع لهذا النظام في مدرسة عربية، ولديه العديد من المدارس الإنجليزية، لأنه على ما يبدو غدا غير دارس للعربية لذاتها، وإنما للتثقيف، وبإمكانه أن يحصل عليها في مدارس أخرى.

وتأسيسا على ما سبق، تجدر الإشارة إلى تجربتين مماثلتين لهذه، أولاها أن بعض الطلاب يلتحقون بمدارس العلوم العصرية بعد تخرجه من المدارس العربية والإسلامية أو بالعكس، والأخيرة تتمثل في أن بعض الطلاب يجمع بين مدارس العربية، والعلوم العصرية خلال مدة واحدة، فيذهب إلى هذه صباحا، وإلى تلك مساء، أو يقسم أيام الدوام بينهما، فيحضر بعض أيام ويغيب أخرى١٣، على أن له في نهاية المطاف عندما يطلب القبول في الجامعات أو الكليات أن يختار أي تخصص يهواه في العربية أو غيرها.

ولا تخلو تلك التجارب جميعا من إرهاق الطالب الناجم من كثافة المواد، وعدم إتاحة فرصة التركيز، فهي تنفع لمن يريد أن يتثقف، لا لمن يهوى التخصص في مجال من ذينك المجالين.

٢- تفعيل أو اغتنام بند الاقتراض المعرفي بين الأقسام: يقترح بعض الدارسين لتحسين وضع العربية، أن تقوم أقسامها في الكليات والجامعات بوضع خطط منهجية متشعبة، تتمثل في اقتراض طلابها من أقسام أخرى مواد ذات صلة بالميادين المتحدث عنها، تكون موزعة على مدار سنوات الدراسة. ولعل هذا هو ما يقصده الأستاذ الدكتور عبد الباقي شعيب أغاكا عندما شجع الدارسين على توسيع نطاق العربية «لتحوي العلوم الكونية في بلادنا من طب، وزراعة،

واقتصاد، وتجارة، وهذا لاشك سيقلل فعلا فتنة البطالة والعدم بين حماة العربية»١٤

ويبدو أن هذه الرؤية سديدة؛ لأنها تتفادى كثافة المواد، فعدد الحصص المقرّر تسجيل الطالب لها خلال مدة الدراسة لا يتغير، علاوة على أن هذه الطريقة تعطي الطالب أرضية خصبة للاستيعاب والتعمق في تلك المواد غير العربية؛ لأنه يتلقاها مباشرة من أقسامها والمتخصصين فيها، وهذا طبيعيا يتيح له فرصة الاحتكاك بمجموعة أخرى من الزملاء يتشاطر معهم - وفق ما كان مع العربيين - شعورا واحدا، ويقاسمهم التجربة طبقا بطبق.

ويلاحَظ على بعض الأقسام العربية تساهلها في ضبط المواد المستعارة، إذ يعمد عدد من منسوبيها إلى اقتراض مواد تقلّ عائداتها الخيرية عليها وعليهم معا، كاقتراضهم من أقسام الهوسا أو اليوربا، لحجة تاعسة، هي أنهم ضعفاء في اللغة الإنجليزية. ولم ينبع الإنكار عليهم من وصمة الاحتقار أو الازدراء بقيمة تلك اللغات المحلية تراثا ثقافيا، وعلميا، بل لأن الظروف والبيئة اللتين يعيش فيهما المثقف العربي تتحتمان عليه بذل جهد كبير لإتقان الإنجليزية، ولا ترضيان بذلك الاعتذار السخيف.

ويرى طائفة من أولئك الدارسين أن تخطو أقسام العربية أشواطا أبعد من مجرد الاقتراض، بأن تزاوج بين الدراسات العربية وتخصصات أخرى على صورة تتبين في الشهادة التي يحملها المتخرج منها١٥، حيث يحصل الطالب على الليسانس في العربية/الاقتصادية، والعربية/ الإعلامية، والعربية/السياسية، والعربية والعلاقات الدولية، والعربية/ والحاسوبية، والعربية/ التجارية، وغيرها ... وهذا يتطابق مع ما تفعله أقسام التربية في تلك المؤسسات.

وواضح أن بعض المؤسسات العلمية العالية تتجه نحو هذا المسار، ففي كليات اللغة العربية والشريعة الإسلامية - على اختلاف بسيط في أسمائها - بإلورن، وميدغري، وأنغرو، وصكتو، وميشو...، تمنح شهادات الدبلوم في العربية والهوسا، والعربية والإعلام، والعربية والقانون وغيرها، أسوة بجامعة بايرو، الجهة المعادلة معها، ولا شك أنها إن تتّسع إلى ميادين علمية أخرى تثري العربية ودارسيها إثراء عظيما.

٣- تحسين منهج العربية: تظل الجهود في تطوير المناهج الدراسية متواصلة، لأن المعارف تتجدد، وتبرز أشياء تقتضي أن يعايشها المحصول المعرفي، ليس إرغاما للمناهج وتطبيعا، وإنما لتبقى صالحة مواكبة لمطالب النمو العقلي والاجتماعي والجسمي١٦، فمثلها في هذا التطور والنمو كمثل الكائن الحي.

وعلى سداد تلك الرؤية، يلحّ الغيورون من السادة الكرام على ضرورة إعادة النظر في المناهج العربية على اختلاف المراحل، وشرعت تبعا لذلك بعض الجهات المعنية تلبي دعوة المجد والحياة، فأصدرت مجلس البحث والتطوير التربوي النيجيري (NERDC)، - وهي الهيئة الحكومية المسئولة عن تعديل المناهج- بتعديل منهج العربية في الابتدائية، والإعدادية مستعينة بالخبراء الميدانيين، وقام في الآونة الأخيرة معهد التربية – جامعة أحمد بلو، زاريا، بتعديل مماثل، وإضافة مواد جديدة، للمنهج الذي تسير عليه المدارس الحكومية والأهلية المعادلة معها، وعُنِيت وكالة الجامعات الوطنية، بإعادة النظر في المناهج الدراسية بالجامعات، وكان منها منهج العربية، إلا أن هذه الجهود المشكورة مجتمعة لا تزال تمثّل طورا من أطوار المنهج الذي يصبو إليه المواطنون، ولا يزال يعتريها بعض المآخذ، وأنى لها أن تخلو منها، وهي أعمال بشرية!، ومع ذلك، فقد بقيت طائفة من المدارس الأهلية التي تستعمل مناهج مجهزة من أصحابها وأتباعهم لا تلقي بالا بتلك النداءات التجديدية إلا قليلا.

ومن ثمّ فقد لوحِظ على فقرات من تلك المناهج عدم ترتيب المعطيات العلمية ترتيبا موضوعيا١٧، وفقدان التناسق قلة وكثرة بمراعاة عدد الحصص الدراسية١٨، والغموض١٩، كما لاحظ أستاذنا الدكتور حمزة عبد الرحيم - الأستاذ المشارك جامعة ولاية كوارا - أن منهج اللغة العربية وآدابها، الذي أصدرته وكالة الجامعات الوطنية، لا يحقق الطموحات، بل يؤدي إلى مزيد من ضعف المستوى٢٠، يضاف إلى ذلك طغيان سافر للمواد الأدبية على اللغوية

في كثير من جامعاتنا دون مبرر.

ومهما يكن من شيء، فإن الجهات المسئولة ينبغي في المستقبل القريب أن تعيد النظر في تلك المناهج، وتتلافى النواقص الملحوظة من قبل الباحثين، على أن تحسن اختيار الدارسين الخبراء بموضوعية عالية، وشفافية بعيدة عن العواطف الشخصية، والعلاقات الأسرية.

٤- التشجيع على التخصص الدقيق: يؤمن بعض الباحثين أن العربية في نيجيريا، قد خطت خطوات جريئة في الأخذ والأداء والإبداع، تجعلها في مقدمة الدول الإفريقية المستعربة، فيحسن أن تواكب ذلك التقدم مظاهر فنية وحسية، ولعل أوجه ما يمثلها أن تستقلّ الأقسام العربية، وأن تتفرع إلى شعبتي اللغة والأدب٢١ على الأقل. أما الاستقلالية، فلم تعد دعوة جديدة في الأوساط العلمية، وقد استجابت أكثر الجامعات الوطنية فيما يبدو، وأما تفريع الأقسام العربية، فذلك مطلب لما يستعدّ لها كثير من الجامعات، وهو صنيع - بلا شك - يؤدي إلى تعمق واستيعاب، ويتطلب توظيف مزيد من المدرسين. ولكن هذا التوجه يقف دونه عناد الذين يرون أن العربية في نيجيريا لا تحتاج إلى مثل هذه الحفاوة؛ لسبب واحد، هو أننا في بيئة غير عربية، بيئة تفرض على مواطنيها أن يحسبوا ألف حساب للغة الرسمية، وأن يكون مسار تعلمهم متأقلما مع الأهداف الوطنية، فالخوض بدراسة العربية إلى قناة التخصص يقصيهم عن تلك الأهداف، ويبعدهم عن رحمة الحكومة، ويغري بهم أعداء الإسلام من النصارى المواطنين، الذين طالما يتهمون المسلمين بالسعي إلى أسلمة الدولة جهلا وحقدا.

وعلى الرغم من ذلك، فليس هناك مانع أن تسيّر الأقسام العربية برامج متعددة المسار، حيث تكون مرحلة التخصص بعد اجتياز السنتين الأوليين التمهيديتين من عمر الدراسة الجامعية، فمن أراد بعدهما تخصصا دقيقا فله ذلك، ومن أراغ أن يجمع بين العلوم العربية والعلوم الاقتصادية، أو السياسية، أو التجارية، أو الحاسوبية وأمثالها فلا مانع.أما التخوّف من ضياع الأهداف الوطنية، فليس واردا في الدراسة الجامعية بنيجيريا؛ لأن وكالة الجامعات الوطنية، وضعت مواد المعلومات العامة (GST)، ومواد عربية أخرى ذات صلة بالبيئة التي يعيش فيها المتعلم لتوفي ذلك المأرب، لكيلا ينشأ غريبا عن تراث أمته، وعاداته، وتقاليده.

والحق، أن الطريق إلى تحقيق الطمح التخصصي في مرحلة الإجازة العالية (الليسانس)لم يزل بعيدا، لأن الأقسام الإنجليزية نفسها لم تعرف ذلك التفريع، إلا في الدراسات العليا (الماجستير والدكتوراه) وهو كذلك النمط الذي يتعامل معه الأقسام العربية.

الاقتراحات:

١- على المسئولين أن يرعوا عنايتهم الكبيرة بقرية اللغة العربية؛ إذ إن لها دورا كبيرا في تثقيف الطلاب بمصطلحات ومبادئ معرفية متعلقة بالإعلام والاقتصاد والتكنولوجيا وغيرها من أنواع العلوم الحديثة؛ لأن من أهداف إنشائها أن تخلق بيئة عربية صناعية تقلّص من فارق المحصول المعرفي الذي يتلقاه الطالب الذي عاش في بيئة عربية أصلية، حيث يختلط بالعرب الخلص، ويقع على عينَيه مشاهد، ويقف على عادات، ويرى أشياء. ولكن يبدو أن هذه القرية تفقد مكونات أساسية تضمن لها النجاح، ولا سيما الأيدي العاملة الكفء، ولعل هذا ما رغب بعض الأقسام العربية عن إرسال الطلاب إليها، لأنها عاجزة عن تحقيق الهدف المتطلع إلى إحرازه.

٢- ينبغي استغلال مادة Arabic media أو مادة الثقافة العربية استغلالا حسنا، لأنهما يمكن أن تحلا كثيرا من التحديات التي تواجه دارسي العربية، وخاصة ما يمس ضآلة الذاكرة اللغوية عن العلوم أو المجالات التي يُتوقع استيظاف العربية فيها.

٣- يجدر بأصحاب المناصب العالية وغيرهم من دارسي العربية، أن لا يولّوا أدبارهم عن الجمعيات العربية كجمعية معلمي الدراسات العربية والإسلامية في نيجيريا،

وجمعية مدرسي اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ليسهموا بما لهم من خبرات، وإمكانيات مادية ومعنوية في دفع ركبها إلى الأمام، ولا يتركوها مهملة بعد أن صعدوا على مرقاتها إلى العلا.

٤- أن على الأقسام العربية مواصلة جهدها في تثقيف منسوبيها، وتزويدهم بجميع ما تتطلبه الأكاديمية من تقنية، وتدريب، وآليات، وتوفير المدد لتنظيم ورشات العمل، والدورات، والمؤتمرات، وللمشاركة فيها.

٥- أن يعلم دارسوا العربية أن أمامهم تحديات جسيمة، تقتضي أن يكونوا على بصيرة مما يدور حولهم، وأن يتسلحوا بالعلم، وأن يشعروا بالعزة، وأن يعملوا جادين على ما يوفّر للعربية ومتعلميها مستقبلا زاهرا.

الخاتمة:

تلك جولة قصيرة عن التحديات التي تواجه اللغة العربية من ناحية التوظيف، وقد عرضت آراء الدارسين الواصفة لما توفر أو يمكن أن يتوفر من حقول عملية متنوعة، سياسةً كانت، أو اقتصادية، أو أمنية، أو دبلوماسية، أو أكاديمية، يطلّ بها المثقف العربي على غد مشرق، وهي جميعا لا تُنال صدفة، بل لا بد من برنامج مخطط ودقيق، وذلك هو ما تصدى له الباحثون، فقدموا بموجبه اقتراحات متشعبة ، وهي تتمثل في تحسين المنهج، وتحديثه، وتفعيل نظام الاقتراض بين الأقسام، والنزوع إلى التخصص الدقيق.

تلك الرؤى بلا أدنى شك خطوات مباركة في سبيل الرقي بالعربية، وأمارات الشعور بالمسئولية التي يتمتع بها كثير من سادة هذه اللغة، وعلمائها، وأدبائها، وعسى أن تثمر في العاجل القريب، وتنتقل من طور الرؤية إلى طور التطبيق، علما بأن تنفيذ بعضها يحتاج إلى أمد غير عاجل، وصبر، وأناة،

وصلى الله وسلم وبارك على خير خلقه محمد، وعلى آله وأصحابه الكرام أجمعين، وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

الهوامش:

١- مستقبل اللغة العربية في نيجيريا (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م)، د. مرتضى أ. بدماصي، ISLAMIC PUBLICATION BUREAU ، لاغوس – نيجيريا، ص:١٢.

٢- نظام التعليم العربي وتاريخه في العالم الإسلامي (١٩٦٧م)، الشيخ آدم عبد الله الإلوري، مكتبة دار الحياة، ص: ٤٥.

٣ - مستقبل اللغة العربية في نيجيريا، ص:٣٦.

٤ - المرجع نفسه، ص:١٣ – ١٤.

٥- The whys and wherefores of Arabic Language in Nigeria، (June ٢٠٠٥)، Isaac A. Ogunbiyi، Anyigba Journal of Arabic and Islamic Studies، Vol.II No.I، pg: ٩.

٦ - Ibid، pg: ٢٤.

٧ - التحديات التي تواجه اللغة العربية والأدب العربي في غرب إفريقيا في القرن الحادي والعشرين، ورقة رئيسية للندوة الدولية، التي نظمها قسم الدراسات العربية والإسلامية بجامعة ولاية كوغي – نيجيريا، ما بين ٢٦ و٢٨ يوليو، ٢٠١٠م، مخطوطة، ص:١٢.

٨ - The whys and wherefores، pg: ١٤- ١٥ and ٢٥- ٢٧.

٩ - Ibid، pg: ١٢.

١٠ - مستقبل اللغة العربية في نيجيريا، المرجع السابق، ص: ١٤.

١١- دور طلبة المدارس العربية في نشر الدعوة الإسلامية (١٩٩٦)، د. عبد الباقي شعيب أغاكا، مؤسسة الفجر، ط/١، ص:٣٤- ٣٥.

١٢ - الدين النصيحة (١٩٧٨م)، الشيخ آدم عبد الله الإلوري، مطبعة الثقافة الإسلامية، أغيغي – نيجيريا، ص: ١٥.

١٣ - تنتشر هذه الظاهرة بالجنوب الغربي في المدارس الأهلية التي أبت أن تزاوج بين العربية والإنجليزية.

١٤- دور طلبة المدارس العربية في نشر الدعوة الإسلامية، المرجع السابق ص:٣٤.

١٥ - نحو تطوير التعليم العربي في نيجيريا (٢٠١٢م)، علي أبولاجي عبد الرزاق، شمس للنشر والإعلام، القاهرة، ص: ٧٨.

١٦ - أسس بناء المناهج، د. نعمه الأسدي، شبكة الألوكة، تاريخ الزيارة: ١٤٣٤/١٠/١٧هـ، الساعة: ١٢:٣٠

نهارا.

١٧ - قراءة في منهج العربية بالمدارس الحكومية النيجيرية: المتوسطة نموذجا، (غير منشورة)، علي عبد القادر العسلي، ص:٦.

١٨ - قراءة في منهج العربية في مرحلة الدبلوم مادة النحو نموذجا،(غير منشورة)، علي عبد القادر العسلي، ص:٧-٨.

١٩ - المرجع نفسه، ص:٧.

٢٠ -تعليم العربية في الجامعات النيجيرية: الحاجة إلى تقويم المنهج لضمان الجودة،(٢٠١٠)، د. حمزة إشولا عبد الرحيم،مجلة نتائس، العدد ١٣، ص: ٧٨.

٢١ - تعليم اللغة العربية في جامعات نيجيريا: اتجاهات وتحديات واقتراحات، (٢٠١٣)، عبد الوهاب صلاح الدين، مجلة العبقري، جامعة العلوم الإسلامية الماليزية- ماليزيا، العدد ٣، ص:٩١.

قائمة المراجع:

- أسس بناء المناهج، د. نعمه الأسدي، شبكة الألوكة، تاريخ الزيارة: ١٤٣٤/١٠/١٧هـ، الساعة: ١٢:٣٠ نهارا.
- تعليم العربية في الجامعات النيجيرية: الحاجة إلى تقويم المنهج لضمان الجودة،(٢٠١٠)، د. حمزة إشولا عبد الرحيم،مجلة نتائس، العدد ١٣.
- تعليم اللغة العربية في جامعات نيجيريا: اتجاهات وتحديات واقتراحات، (٢٠١٣)، عبد الوهاب صلاح الدين، مجلة العبقري، جامعة العلوم الإسلامية الماليزية- ماليزيا، العدد ٣.
- التحديات التي تواجه اللغة العربية والأدب العربي في غرب إفريقيا في القرن الحادي والعشرين، أ.د. عبد الغني عبد السلام أولادوشو، ورقة رئيسية للندوة الدولية، التي نظمها قسم الدراسات العربية والإسلامية بجامعة ولاية كوغي – نيجيريا، ما بين ٢٦ و٢٨ يوليو، ٢٠١٠م، مخطوطة.
- دور طلبة المدارس العربية في نشر الدعوة الإسلامية (١٩٩٦)، د. عبد الباقي شعيب أغاكا، مؤسسة الفجر، ط/١.
- الدين النصيحة (١٩٧٨م)، الشيخ آدم عبد الله الإلوري، مطبعة الثقافة الإسلامية، أغيغي – نيجيريا.
- قراءة في منهج العربية بالمدارس الحكومية النيجيرية: المتوسطة نموذجا، (غير منشورة)، علي عبد القادر العسلي.
- قراءة في منهج العربية في مرحلة الدبلوم مادة النحو نموذجا،(غير منشورة)، علي عبد القادر العسلي.
- مستقبل اللغة العربية في نيجيريا (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م)، د. مرتضى أ. بدماصي، ISLAMIC PUBLICATION BUREAU ، لاغوس – نيجيريا.
- نحو تطوير التعليم العربي في نيجيريا (٢٠١٢م)، علي أبولاجي عبد الرزاق، شمس للنشر والإعلام، القاهرة.
- نظام التعليم العربي وتاريخه في العالم الإسلامي (١٩٦٧م)، الشيخ آدم عبد الله الإلوري، مكتبة دار الحياة.
- قراءة في منهج العربية بالمدارس الحكومية النيجيرية: المتوسطة نموذجا، (غير منشورة)، علي عبد القادر العسلي.
- قراءة في منهج العربية في مرحلة الدبلوم مادة النحو نموذجا،(غير منشورة)، علي عبد القادر العسلي.
- The whys and wherefores of Arabic Language in Nigeria، (June ٢٠٠٥)، Isaac A. Ogunbiyi، Anyigba Journal of Arabic and Islamic Studies، Vol.II، No.